

السنة السادسة والتسعون بعد المئتين

فيها خُلِعَ المقتدر^(١) ، وسبَّه صِغَرُ سنَّه ، وقصوره عن تدبير الخلافة ، واستيلاء أمه والقهرمانة على الخلافة.

قال القاضي محمد بن يوسف : لما تمَّ أمر المقتدر استصباها العباس الوزير ، وكثر خَوْضُ النَّاسِ فيه في صغر سنَّه ، فعمل العباس على أن يخلي أمره ، ويقلد الخلافة محمد بن المعتمد ، ثمَّ اجتمع محمد بن المعتمد وابن عمرويه صاحب الشرطة في مجلس العباس يوماً ، وجرت بينهما منازعة ، فأربى عليه ابن عمرويه في الكلام ، ولم يعرف ما قد رُشِّحَ له ، ولم يتمكن محمد من الانتصاف منه لمحلَّه ، فلما اغتاض غيظاً عظيماً كظمه ، ففُجِّع في المسجد ، فاستدعى العباس عماريةً ، فحمله فيها إلى منزله ، فلم يلبث أن مات ، فعمل العباس على تقليد أبي الحسين ابن لجين من ولد المتوكل على الله ، فمات الآخر.

ذكر فتنة عبد الله بن المعتز

اتفق جماعة من القواد والأعيان والقضاة والعامَّة على خلع المقتدر وتولية عبد الله ابن المعتز الخلافة ، فأجابهم بشرط ألا يكون فيها دم ولا حرب ، فأجابوه كلهم ، وكان رأسهم محمد بن داود بن الجراح ، وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي ، والحسين ابن حمدان ، واتفقوا على قتل المقتدر ووزيره العباس وفاتك المعتضدي ، فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول ركب الحسين بن حمدان والقواد والوزير ، ووقفوا على باب الخلافة وتسايروا ، فعطف الحسين بن حمدان على العباس الوزير فقتله ، فأنكر عليه فاتك ، فعطف على فاتك فقتله ، وكان المقتدر بالحلبة يلعب بالصَّوَالِجَة ، فقصده ابن حمدان ليقتله ، وسمع المقتدر الضجَّة ، فدخل الدار وأغلق الأبواب ، فعاد ابن حمدان إلى المُخَرَّم^(٢) ، فنزل بدار سليمان بن وهب ، وأرسل إلى عبد الله بن المعتز - وكان نازلاً في دار إبراهيم بن أحمد المادرائي - الراكبة على الصَّراة

(١) من هنا إلى قوله : وفيها قدم الحسين بن حمدان... ليس في (ف) و (م).

(٢) المُخَرَّم : محلة ببغداد بين الرصافة ونهر الملعلي. معجم البلدان ٧١/٥ .

ودجلة، فعبر إلى المخرم إلى ابن حمدان، وحضر القواد والجنذ والقضاء ووجوه الناس سوى خواص المقتدر وأبي الحسين بن الفرات، فبايعوه بالخلافة، ولقبوه بالمنتصف بالله، وقيل: بالغالب بالله، وقيل: بالمرتضي، وقيل: بالراضي بالله. واستوزر محمد بن داود بن الجراح، وقد محمد بن عبدون دواوين الأزمّة، وعليّ ابن عيسى دواوين الأصول، وجعل يُمن الخادم حاجبه، فغضب سوسن الخادم وعاد إلى المقتدر.

ونفذت الكتب عن عبد الله بن المعتز بالرسائل إلى سائر البلاد يخبرهم بتقليده الخلافة، وكان تمام أمره ليلة يوم الأحد لتسع بقين من ربيع الأول. وقال الصولي: كان العباس الوزير قد دبّر خلع المقتدر وقتله مع الحسين بن حمدان ومبايعة ابن المعتز، ووافقهم وصيف التركي، وبلغ المقتدر فأصلح حال العباس ورفع إليه مالاً، فرضي ورجع عن ذلك، وعلم الحسين بن حمدان فقتله على ما ذكرناه. وبلغ الخبر إلى الفقيه أبي جعفر الطبري فقال: ومن ترشح للوزارة؟ قالوا: محمد ابن داود بن الجراح، قال: ومن ذكر للقضاء؟ قالوا: أبو المثنى أحمد بن يعقوب، ففكر طويلاً وقال: هذا أمر لا يتم، قيل: ولم؟ قال: لأن كل واحد من هؤلاء الذين ذكرتم مقدّم في نفسه، عالي الهمة، رفيع المرتبة في أبناء جنسه، والزمان مُدبر، والدولة مؤلّية، فكان كما قال.

ثم إن ابن المعتز بعث إلى المقتدر يأمره بالانصراف إلى دار محمد بن طاهر؛ لينتقل هو إلى دار الخلافة، فأجاب بالسمع والطاعة، ولم يكن بقي معه من رؤساء القواد غير مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، وغريب الخال، وجماعة من الخدم والحاشية.

وبكر الحسين بن أحمد بن حمدان إلى دار الخلافة فقاتلها، فأجمع الغلمان والخدم فدفعوه عنها، فحمل ما قدر عليه من المال والحريم، وسار إلى الموصل، فقال الذين بقوا عند المقتدر: يا قوم، نسلم هذا الأمر هكذا! لم لا نجرب نفوسنا في دفع ما قد أظننا، فلعل الله أن يكشفه عنا؟ فنزلوا في الشذا، وألبسوا جماعة منهم السلاح، وقصدوا دار المخرم وفيها عبد الله بن المعتز، فلما رأهم من كان فيها أوقع الله في قلوبهم الرعب، فانصرفوا قبل أن يجري بينهم حرب، وولّوا منهزمين.

وخرج عبد الله بن المعتز من الدار، وقدمت له دابة فركبها، ومعه محمد بن داود وزيره، ويمن حاجبه، وقد شهر سيفه وهو ينادي: معاشر العامة، ادعوا لخليفتمكم، وأشار إلى الجيش أن يتبعهم إلى سامراء ليثبت أمرهم بها، فلم يتبعهم أحد من الجيش، فنزل ابن المعتز من دابته، ودخل دار ابن الجصاص، واستتر ابن الجراح والقاضي أبو المثني، ونهب دورهما، ومر الناس على وجوههم، ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد.

واستتر أبو الحسن علي بن عيسى، ومحمد بن عبدون في دار رجل يبيع البقل، وبدرهما العامة فكبسوا الدار وأخرجوهما على بعل ياكاف إلى دار المقتدر، [وقبض]^(١) على وصيف بن صوارتكين - وقيل: إنه هو الذي قتل فاتكاً - وقبض على يمين الخادم، والقاضي أبي عمر محمد بن يوسف، والقاضي أبي المثني أحمد بن يعقوب، والقاضي محمد بن خلف، والقواد والفقهاء الذين خلعوه، وسلموا إلى مؤنس الخازن، فقتلهم جميعاً إلا ما كان من علي بن عيسى، ومحمد بن عبدون، والقاضي محمد بن يوسف، والقاضي محمد بن خلف، فإنهم سلموا من القتل، وكان قتل الباقيين يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر.

وأقام ابن المعتز يوماً وليلة، ثم استتر في دار ابن الجصاص، وثبت أمر المقتدر يوم الاثنين لثمانين بقين من ربيع الأول.

وفيها استوزر المقتدر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات، وخلع عليه خلع الوزارة، ومشى الناس بأجمعهم بين يديه إلى داره بسوق العطش، وخلع المقتدر على مؤنس الخادم وغريب الخال ويانس وصافي الحرمي وغيرهم، وطوقوا وسوروا، وجاء خادم يعرف بسوسن من خدام أبي عبد الله بن الجصاص إلى صافي الحرمي، فأخبره بأن ابن المعتز في داره، فبعث المقتدر صافياً في جماعة، فكبس دار ابن الجصاص، وأخذ ابن المعتز وابن الجصاص إلى دار الخليفة، فصدور ابن الجصاص على مال وأطلق، وحبس ابن المعتز، ثم أخرج ميتاً بعد ذلك، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

(١) ما بين معكوفين من الكامل ١٧/٨ .

وفيها أمر المقتدر أن لا يُستخدم أحدٌ من اليهود والنصارى إلا في الطّب والجَهَبَدَة فقط، وأن يُطالبوا بلبس العسليّ، وتعليق الرِّقاع المصبوغة على دراريعهم، وأن يركبوا على السُّروج التي هي كهية الأكف^(١).

وفيها افتتح أبو الحسن بن الفرات وزارته بأن أخرج أمر الخليفة إلى سائر البلاد بإنصاف الرعيّة، وإفاضة العدل والإحسان، وإزالة الرُّسوم الجائرة عنهم، وأعطى بني هاشم جوائزهم وصلّتهم، وأخرج أمره بالصَّفح عمن خرج عن طاعته ووالى ابن المعتز، وأمر بإحراق جميع الجرائد التي فيها أسامي من خلع المقتدر، وقيل: إنّه غرّقها في دجلة، فدعا الناس له وللوزير.

ولمّا استقرّ الأمر للمقتدر فوّض الأموال إلى أبي الحسن بن الفرات، وتوفر على لذاته واحتشم الرِّجال وانقبض عنهم، وأطرح النَّدماء والجلساء والمغنيين، وعاشر النساء، وغلب على الدّولة الحرّم والخدم، وما زال يُنفق الأموال من بيت مال الخاصّة ويبدّر حتّى أتلّفها.

وفيها قدم الحسين بن حمدان إلى بغداد^(٢)، وسيّبه: أن المقتدر كتب إلى أخيه أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان في قصد أخيه، وبعث له أربعة آلاف رجل مع القاسم بن سيما، فالتقوا، فانهزم أبو الهيجاء وابنُ سيما، فنزل إبراهيم بن حمدان إلى بغداد، فأصلح أمر أخيه الحسين، وكتب له المقتدر أماناً، فقدم في جمادى الآخرة فنزل ظاهر بغداد من الجانب الغربيّ ولم يدخل دار الخلافة، وقُدّ أعمال الحرب بقمّ وقاشان، وحملت إليه الخلع، فلبسها ومضى إلى قمّ، وعزل عنها العبّاس بن عمرو.

وفيها وقع ببغداد ثلجٌ في كانون من أول النّهار إلى العصر، وأقام أياماً لم يذّب. وفي رمضان ابتدئ بعمارة المصلّى ببغداد، وصلّى فيه أبو الحسن بن الفرات الوزير يوم الفطر.

وخلع المقتدر على مؤنس الخادم، وأمره بالخروج إلى الثُّغر بسبب الفداء.

(١) تاريخ الطبري ١٠/١٤٠-١٤٢، والمنتظم ١٣/٧٩-٨٢، والكامل ٨/١٤-١٧، وتاريخ الإسلام

٦/٨٦٩-٨٧١، وتكملة تاريخ الطبري ١١/٣٠-٣٣.

(٢) من هنا إلى آخر الخبر ليس في (ف) و(م)١.

ووصل الخبر بأنَّ السَّيْلَ دخل مَكَّةَ ففرق البيت من أربعة أركانه، وأنَّ زمزم فاضت ولم يُعرف ذلك [من قبل غير طوفان نوح].

وقُدِّ محمد بن عبد الله بن عليّ بن أبي الشَّوارب القضاء بالحَرَمين، فخرج مع الحاجِّ، واستخلف محمد بن موسى الرازي.

وحجَّ بالنَّاس الفضل بن عبد الملك، وعاد كثير من الحاجِّ لقلَّة الماء، وغارت العيون، وانقطع المطر، وخرج النَّاس يستسقون.

وفيهما توفي

أحمد بن محمد

ابن هانئ، أبو بكر الطَّائي، الأثرم.

سمع الكثير، وصنَّف «عِلَلَ الحديث»، و«الناسخ والمنسوخ» في الحديث، وكان صاحبَ الإمام أحمد رحمة الله عليه، وعلى مذهبه اشتغل، وأصله من بلد إسكاف وهناك مات.

سمع عَفَّان بن مسلم وغيره، وكان فاضلاً ثقةً ورعاً حافظاً متقناً^(١).

خلف بن عمرو

ابن عبد الرَّحمن بن عيسى، أبو محمد العُكْبَرِيُّ.

كان له ثلاثون خاتماً، وثلاثون عُكَّازاً، يلبس كُلَّ يوم خاتماً ويحمل عُكَّازاً، وكان واسع المال والجاه، عظيم السَّتر، وكان قد علَّق في بيته سوطاً، فقيل له في ذلك، فقال: علَّق السَّوطَ يَخافُك عيالُك. وكانت وفاته بعُكْبَرَا، سمع سعيد بن منصور وغيره، وروى عنه الخُطبي وغيره، وكان ثقةً^(٢).

فصل وفيها توفي

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٢٩٥-٢٩٦، والمنتظم ١٣/ ٨٣.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٢٨٤-٢٨٥، والمنتظم ١٣/ ٨٤، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٤٢، وهاتان الترجمتان ليستا في

(ف م ١).

عبدُ الله بن المُعْتَزِّ

واسم المعتز، محمد بن جعفر المتوكل، وكنية عبد الله أبو العباس، وقيل: أبو عبد الله. قال سنان بن ثابت: ولد^(١) سنة ست وأربعين ومئتين - [وقال الخطيب:] لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومئتين - قبل قتل المتوكل بأربعين ليلة. [قال سنان بن ثابت:] واسم أمه خاين^(٢). [قلت: ولم يذكر ذلك غيره، وهو اسم غريب]. وكان غزير الأدب، بارعَ الفضل، مَلِيحَ الشعر، لم يسبقه أحد إلى التشبيهات في نظمه، وله النثر المليح. أخذ الأدب عن المبرّد وثعلب وغيرهما، وكان كريمَ الأخلاق، حسنَ العشرة، جواداً، ممدّحاً^(٣).

وقال الصُّولي: حدّثني ابن المعتزّ قال: كان محمد بن يزيد المبرّد يأتيني كثيراً في دار أبي المثنى القاضي، فاشتقتُ إليه، وكنتُ قد امتنعتُ من الرُّكوب حتّى إلى الجامع، فكتبت إليه: [من الرجز]

ما وَجَدُ صَادٍ فِي الْحِبَالِ مُوْتَقٍ عَنْ مَاءِ مُزْنٍ بَارِدٍ مَصْفَقِ
جَادَتْ بِهِ أَخْلَافٌ دَجْنٍ مُطْبِقِ لَصَخْرَةٍ إِنْ تَرَ شَمْساً تَبْرُقِ
فَهُوَ عَلَيْهَا كَالرُّجَاجِ الْأَزْرَقِ صَرِيحِ غَيْثٍ خَالِصٍ لَمْ يُمَذَّقِ
إِلَّا كَوَجْدِي بِكَ لَكِنْ أَتَّقِي يَافَاتِحاً لِكُلِّ بَابٍ مُغْلَقِ

(١) في (خ): عبد الله بن المعتز محمد بن جعفر المتوكل أبو العباس ولد. والمثبت من (ف م ١)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣٠٢/١١، ومروج الذهب ٢٥٠/٨، والمنظّم ٨٤/١٣، وتاريخ الإسلام ٩٧٠/٦، والسير ٤٢/١٤، وأشعار أولاد الخلفاء للصولي ص ١٠٧.

(٢) في (ف م ١): جابن، وينظر النجوم الزاهرة ١٦٦/٣.

(٣) بعدها في (ف م ١): وقد ذكرنا طرفاً من أشعاره فمنها:

أترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب قبل الزوال
قلت: وسياقي البيت مع غيره قريباً.

وَصَيْرْفِيًّا نَاقِدًا لِّلْمَنْطِقِ إِن قَال هَذَا بَهْرَجٌ لَّم يَنْفُقِ
 إِنَّا عَلَى الْإِبْعَادِ وَالتَّفْرِقِ لَنَلْتَقِي بِالْقَلْبِ إِن لَّم نَلْتَقِ
 فَكُتِبَ إِلَيَّ يَدْعُو لِي وَيَشْكُرُنِي وَيَقُولُ : إِنَّنِي لَسْتُ مِمَّنْ يَقُولُ الشَّعْرَ (١) .

قال المصنف رحمه الله : وابن المعتز إنما أخذ هذا المعنى من قول جميل (٢) : [من

الطويل]

فَمَا صَافِنَاتٌ حُمْنٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَغْشَيْنَ الْعِصِيَّ حَوَانِي
 لَوَائِبُ لَمْ يَضُدْرَنَ عَنْهُ بِوَجْهَةٍ وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِي
 يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ السُّقَاةِ رَوَانِي
 بِأَكْثَرِ مَنِّي لَوْعَةً وَتَشْوُوقًا إِلَيْكَ وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَدَانِي
 وَفِي الْمَعْنَى : [من الطويل]

وَمَا وَجَدُ مِلْوَاحٍ مِنَ الْهَيْمِ حُلَّتْ عَنْ الْوَرْدِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَّصِلُ
 تَحُومٌ وَتَغْشَاهَا الْعِصِيَّ وَدُونَهَا أَكَارِيغٌ أَنْعَامٌ تَعَلُّ وَتُنْهَلُ
 بِأَظْمَأَ مَنِّي غُلَّةً وَتَشْوُوقًا إِلَى الْوَرْدِ إِلَّا أَنَّنِي أَتَعَلُّ (٣)
 وَقَرِيبًا مِنْهُ : [من الطويل]

وَمَا ذَاتُ طَوْقٍ فِي فِرْعَ أَرَاكِيَّةٍ لَهَا رَتَّةٌ تَحْتَ الدُّجَى وَصُدُوحُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى وَتَمَكَّنَتْ بِهَا فُرْقَةٌ مِنْ أَهْلِهَا وَنُزُوحُ
 فَحَلَّتْ بِزُورَاءِ الْعِرَاقِ وَزَرْبُهَا بَعُسْفَانَ ثَاوٍ مِنْهُمْ وَظَلِيحُ
 تَحْنُ إِلَيْهِمْ كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ وَتَسَجَعُ فِي جُنْحِ الدُّجَى وَتَنُوحُ
 بِأَبْرَحَ مِنْ وَجْدِي لِذِكْرَاكُمُ مَتَى تَأَلَّقَ بَرَقٌ أَوْ تَنْسَمَ رِيحُ (٤)

(١) الخبر والأبيات في أشعار أولاد الخلفاء ١١٤ - ١١٥ ، وتاريخ بغداد ١١ / ص ٣٠٢ - ٣٠٣ بين ابن المعتز
 وتعلب ، وانظر ديوانه ص ٢٩٨ .

(٢) كلام المصنف هذا ليس له ، وإنما هو لتعلب كما نقل الصولي ص ١١٥ ، وعنه الخطيب ١١ / ٣٠٣ ، وأبيات
 جميل الآتية في ديوانه ص ٢٠٥ .

(٣) الأبيات دون نسبة في البيان والتبيين ٣ / ٥٥ . والملواح في الدواب : السريع العطش ، وحُلَّتْ : مُنِعَتْ .
 اللسان : (لوح) ، (حلا) .

(٤) نسبها ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣ / ٤٩٨ لفخر الدين صاحب تكريت .

ومن شعر عبد الله بن المعتز: [من المتقارب]

بَلَوْتُ أَجْلَاءَ هَذَا الزَّمَانِ
وكلهم إن تصفحهم
وله: [من الخفيف]

حدّثت عن تغيري الأترابا
نظرت نظرة إليّ وصدت
هي أدهى مُلمّة نزلت بي
وله: [من مجزوء الرمل]

[أبك] يا نفس وهاتي توبةً قبل المماتِ
قبل أن يُفجّعنا الدهرُ ببَيْنِ وشتاتِ
لا تخونيني إذا متُّ وقامت بي نُعماتي
إنّما الوافي بعهدي من وفى بعد وفاتي
قال المصنّف رحمه الله: كذا روى الصّولي هذه الأبيات، ورواها غيره:

بحياتي يا حياتي اشربي الكأس وهاتي
الأبيات (٣).

وقد أنشدها الحلاج عند قتله، وزاد فيها: [من مجزوء الرمل]

والذي حيّ قيوماً
وأنا منه مقيم (٤)
أيسن راقٍ للعرامي
وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

دوتلك من خير المعائب
ما عابني إلا الحسو

(١) ديوان ابن المعتز ص ٦٢ ، والمنتظم ٨٧/١٣ .

(٢) نسبها الصفيدي في الوافي بالوفيات ٦/٢٥٩ لأحمد بن أمية الكاتب...

(٣) أشعار أولاد الخلفاء ١٧٩ ، والمنتظم ٨٨/١٣ ، والبداية والنهاية ١٤/٧٥٤ .

(٤) ذكر هذين البيتين القزويني في آثار البلاد ص ١٦٨ وروايتهما فيه : والذي حي قديم... وأنا منه رضيع....

نَ فَقَدْتَ فِي الدُّنْيَا الْأَطَايِبَ^(١)

ما المرء في الدنيا بلبّاث
قد صاح في ميزان ميراث^(٢)

مصائب الدنيا وآفاتها
إلا التي تُطربُ أصواتها^(٣)

ولاح الشيبُ وافتضح الشبابُ
فكيف تُحبّني الخوذ الكعاب^(٤)

وصاحبها عند الكمال يموتُ
وكلُّهم تحت التراب صُموتُ

والدولة الناهية الأمرة
ويا عبيد الشهوة الفاجرة
وعن قليلٍ تليدُ الآخرة^(٥)

قضوا عليك وعنهم كنتُ أنهاكا

فإذا فقت الحاسديـ

وقال: [من السريع]

سابق إلى مالك وراثه
كم صامتٍ يخنقُ أكياسه

وقال: [من السريع]

تطرق أهل الفضل دون الوزي
كالطير لا يحبس من جنسها

وقال: [من الوافر]

تولّى الجهل وانقطع العتابُ
لقد أبغضت في نفسي مشيبي

وقال: [من الطويل]

وما تنفع الآداب والعلم والحجى
كما مات^(٥) لقمان الحكيم وغيره

وقال: [من السريع]

يا ذا الغنى والسطوة القاهرة
ويا شياطين بني آدم
انتظر الدنيا فقد أقربت

وقال: [من البسيط]

إن الذين بخيرٍ كنت تذكُرهم

(١) ديوانه ص ٧١ ، وتاريخ بغداد ٣٠٤ / ١١ .

(٢) المنتظم ٨٨ / ١٣ .

(٣) وفيات الأعيان ١ / ١٥٤ دون نسبة .

(٤) ديوانه ص ٨٢ ، وأشعار أولاد الخلفاء ص ٢٨١ .

(٥) في (خ) : قال . والمثبت من تاريخ بغداد ٣٠٥ / ١١ .

(٦) أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٨٤ ، والمنتظم ٨٨ / ١٣ .

لا تَطْلُبَنَّ حَيَاةً عِنْدَ غَيْرِهِمْ
وقال: [من الخفيف]

أَتَرَى الْجِجِرَةَ الَّذِينَ تَدَاعَوْا
عَلِمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي
مِثْلَ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوِ
مَا أَعَزَّ الْمَعشُوقَ مَا أَهْوَنَ الْعَا
وقال: [من المتقارب]

أَطَلَّتْ وَعَذَّبْتَنِي يَا عَذُولُ
هَوَايَ هَوَى بَاطِنٌ ظَاهِرٌ
أَلَا مَا لِيذَا اللَّيْلِ لَا يَنْقُضِي
أَبِيْتُ أَسَاهِرُنْ نَجْمَ الدُّجَى
وقال: [من المنسرح]

يَطُوفُ بِالرَّاحِ بَيْنَنَا رَشَاءُ
يَكَادُ لَحْظُ الْعَيُونِ حِينَ بَدَا
وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسَوِ
كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا
وقال في عُبيد الله بن سليمان: [من الطويل]

لَأَلِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهَبٍ صِنَائِعُ
هُمْ عَلَّمُوا الْأَيَّامَ كَيْفَ تَبَرَّنِي
وقال وقد افتصد أبوه: [من الخفيف]

يَا دِمَاءَ سَالٍ مِنْ ذِرَاعِ الْإِمَامِ

(١) المنتظم ١٣/٨٧ ، ٨٨ .
(٢) ديوانه ص ٣٢٩ ، والمنتظم ١٣/٨٩ ، وأشعار أولاد الخلفاء ٢٣٩ .

قد ظننَّاكَ إذْ جَرِيتْ إِلَى الطَّسُدِ
 إِنَّمَا غَرَّقَ الطَّبِيبُ شَبَا المِيبِ
 وقال: [من البسيط]

يا نَفْسُ صَبْرًا وإلَّا تَهْلِكِي جَزَعًا
 لا تَحْسَبِي نِعْمًا سَرَّتْكَ لَذَّتْهَا
 قال الصوليُّ: اعتلَّ عبدُ الله بن المعتمر، فأثاه أبوه عائداً^(٣) وقال: ما عراك يا بُني؟
 فأنشأ يقول: [من الخفيف]

أَيُّهَا العاذِلُونَ لا تَعْدِلُونِي
 وانظروا هل تَرَوْنَ أَحْسَنَ مِنْهَا
 وانظروا حُسْنَ وَجْهَهَا تَعْدِرُونِي
 فَتَبَّعَ أبوه الحالَ حتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، فابتاعَ الجاريةَ التي شَغَفَ بِهَا بِسَبْعَةِ آلافِ دِينَارٍ،
 وبعثَ بِهَا إِلَيْهِ.

[وقال بعض المتأخرين: وابن المعتمر هو القائل:

الشَّمْسُ نَمَامَةٌ وَالْبَدْرُ قَوَادُ^(٤)

سرقه المتنبّي فقال: [من البسيط]

أزورُكُمْ وَسِوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي
 وَأَنْثَنِي وَضِيَاءُ الصُّبْحِ يُعْزِي بِي^(٥)
 ومن كلامه^(٦):

أَنْفَاسُ الحَيِّ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ.

رَبِّمَا أوردَ الطَّمَعُ وَلَمْ يُضِدِرْ.

رَبِّمَا شَرِقَ شَارِبِ المَاءِ قَبْلَ رِيَّةِ.

(١) انظر المقطعات الأربعة في ديوانه ص ٣٣٧ ، ٣٤٤ ، ومروج الذهب ٨ / ٢٥٢ - ٢٥٤ .

(٢) المنتظم ٨٨ / ١٣ .

(٣) في (خ): اعتلَّ عبد الله فأثاه المعتمر عائداً، والمثبت من (ف م ١). وانظر المنتظم ١٣ / ٨٦ .

(٤) صدره كما في ديوانه ص ١٤٧ : لا تَلْقَى إلا لَبِيلٍ مَنْ تَوَاصَلَهُ.

(٥) ديوان المتنبّي ١ / ٢٩٠ ، وهذه الزيادة من (ف م ١).

(٦) من هنا إلى ذكر مقتله ليس في (ف م ١).

مَنْ تجاوز الكفافَ لم يُغْنِهِ الإكثار.
 كلِّمًا عَظُمَ قَدْرُ المُنَافِسِ فِيهِ عَظُمَتِ الفَجِيعَةُ بِهِ.
 أشقى النَّاسِ أَقْرَبُهُمُ مِنَ السُّلْطَانِ؛ كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الأَشْيَاءِ مِنَ النَّارِ أَسْرَعُهَا احتراقًا.
 ومن شارك السُّلْطَانِ فِي عِزِّ الدُّنْيَا شاركه فِي ذُلِّ الآخِرَةِ.
 أهلُ الدُّنْيَا رَكَبَ يُسَارُ بِهِمْ وَهَمُ نِيَامِ.
 الحرصُ يُنْقِصُ مِنَ قَدْرِ الإنسانِ وَلَا يَزِيدُ فِي حِطِّهِ.
 يكفيكِ مِنَ الحاسِدِ أَنَّهُ يَغْتَمُّ فِي وَقْتِ سُرُورِكَ.
 الفُرْصَةُ سَرِيعَةُ الفَوْتِ بَعِيدَةُ العُودِ.
 الجودُ حارسُ الأَعْرَاضِ.
 الأسرارُ إِذَا كَثُرَ خُزَّانُهَا أَزْدَادَتْ ضَيَاعًا.
 البلاغةُ بِلُغُ المعنى.
 [ذُلٌّ] العِزْلُ يَضْحَكُ مِنَ تِيهِ الوَلَايَةِ.
 تَرِكَةُ المِيتِ عِزٌّ لِلوَرِثَةِ.
 لَا تَشِينُ وَجَهَ العَفْوِ بِالتَّقْرِيعِ.
 وَمَنْ أَظْهَرَ عِدَاوَتَكَ فَقَدْ أُنْذِرَكَ^(١).

اللسانُ تُرْجِمَانُ القَلْبِ، وَصِيقَلُ العَقْلِ، وَمُجَلِي الشُّبْهِ، وَمُظْهِرُ الحُجَجِ، وَالحَاكِمُ
 عِنْدَ مَخَاصِمَةِ الظَّنِّ، وَالفَارِقُ بَيْنَ الشُّكِّ وَاليَقِينِ.
 خَيْرُ الكَلَامِ مَا شَرُفَتْ مَبَانِيهِ وَلُطِفَتْ مَعَانِيهِ.
 وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ بَلِيغًا، وَالمَعْنَى شَرِيفًا، وَالمَطْبَعُ صَحِيحًا، أَثَّرَ فِي القُلُوبِ تَأْثِيرَ الغَيْثِ
 فِي التُّرْبَةِ الكَرِيمَةِ.
 ذَكَرَ مَقْتَلَهُ:

قال الصُّوْلِيُّ: قال عبد الله بن المعتز في الليلة التي قُتِلَ فِي صَبِيحَتِهَا^(٢): [من البسيط]

(١) المنتظم ١٣/ ٨٥ وما بين معكوفين منه. وانظر أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٨٧.

(٢) في (م) بعدها: الأبيات الطاقية (كذا!) قلت: وقد ذكرها الخطيب وقال بإسناده عن أحمد بن محمد بن =

يا نفس صَبْرًا لعلَّ الخَيْرَ عُقْبَاكَ
 مرّت بنا سَحْرًا طَيْرٌ فقلتُ لها
 إن كان قِصْدُكَ شَرْقًا فالسَّلَامُ على
 من مُوثِقٍ بالمِنايا لا فِكاكَ له
 [فَرُبَّ أَمْنَةٍ حَانَتْ مِنْيَّتُهَا
 أَظْنَهُ آخِرَ أَيَّامٍ مِنْ عُمُرِي
 فقتله مؤنس آخر الليل.

[قلت: لو أراد ابن المعتز أن يكون مُطلقاً مثل الطَّيْرِ، سليماً من كلِّ آفةٍ ما تعرَّض للخلافة.

وقال الصُّولي: [لَمَّا أَرَادُوا قَتْلَهُ قَالَ: [من الوافر]

فقل للشَّامِئِينَ بنا رُويَداً
 هو الدَّهْرُ الَّذِي لا بَدَّ مِنْ أَنْ
 أَمَامَكُمْ المِصَائِبُ وَالخُطُوبُ
 يَكُونُ إِلَيْكُمْ مِنْهُ دَبِيبُ
 قلت: كأنه نظر في سِثْرَ رَقِيقٍ، فَإِنَّ المِقْتَدِرَ قُتِلَ شَرًّا قَتْلُهُ لَمَّا نَذَرَ.

قال الصُّولي: سلَّم المقتدر عبد الله بن المعتز إلى مؤنس الخادم فقتله، وأخرجه ملفوفاً^(١) في كساء، فسَلَّمه إلى أهله، فدفنوه في خزانة^(٢) بإزاء داره على الصَّراة، [وكذا قال ثابت بن سنان؛ سلَّمه المقتدر إلى مؤنس يوم الخميس لليلتين خلتا من ربيع الآخر، فصار به مؤنس الخادم إلى منزله، وأخرجه ملفوفاً في زلي^(٣)، فسَلَّمه إلى أهله فدفنوه].

وقيل: إِنَّه مات حَتْفَ أنفه، وليس بصحيح، بل خَنَقَهُ مؤنس.

وكان له يوم قُتِلَ ثمانٌ وأربعون سنة، وقيل: تسعٌ وأربعون سنة.

ومولده سنة ستٍّ وأربعين ومئتين.

= عباس قال: قال عبد الله في الليلة التي قتل في صبيحتها. اهـ. والمثبت من (خ)، والخبر والأبيات في تاريخ بغداد ٣٠٧/١١، وعنه في المنتظم ٨٩/١٣ - ٩٠، والأبيات فحسب في أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٨٦.

(١) في (خ): يكون إليكم منه ديبب، وقتله مؤنس الخادم وأخرجه ملفوفاً، والمثبت من (ف م ١).

(٢) كذا، ولعلها: خرابة.

(٣) الزُّلْيَةُ بالكسر: البساط. تاج العروس: (زلل). وما بين معكوفين من (ف) و (م ١).

ورثاه جماعةٌ منهم عليُّ بن محمد بن بَسَّام فقال: [من البسيط]
 لله درُّك من مَلِكٍ بَمَضِيَعَةٍ ناهيك في العَقْل والآداب والحَسَبِ
 ما فيه لولا ولا لِيَتْ فْتُنْقِضُهُ وإنَّما أدركته حِرْفَةُ الأَدَبِ^(١)

محمد^(٢) بن داود بن الجَرَّاح

أبو عبد الله، الكاتب، عمُّ علي بن عيسى الوزير.

ولد سنة ثلاث وأربعين ومئتين، وكان عالماً بأخبار النَّاس والخلفاء والوزراء، وله المصنَّفات في ذلك، وقد ذكرنا خروجه مع ابن المعتزِّ واختفائه عند انحلال أمره، فاستتر محمد عند موسى بن عيسى كاتب مؤنس الخازن، فعرض له رقعةً على الوزير ابن الفرات، فلما قرأها قال: يقول له: أمرك بعد طريِّ، فتوقَّف حتى تَخْلُق القضية، ثمَّ لاطف في أمرك، فلما عاد موسى بالجواب وقع له أنَّ ابن الفرات أشار بإشارة لتستمرَّ نكبته، فقال: أيِّ ذنبٍ لي حتَّى أستتر؟ ومضى إلى دار سوسن الحاجب، فاستأذن عليه فلم يُصدِّق، وأذن له، ثمَّ أنهى خبره إلى المقتدر، فأمر بتسليمه إلى مؤنس الخازن، فسلمه إليه، فقتله، فلما ورد الخبر إلى ابن الفرات بقتله اغتمَّ غمًّا شديداً، وبكى حتَّى قال جلساؤه: ما كُنَّا نظنُّ به ذلك، فقال: كان في عداوته لي عاقلاً، وكان من أقرب أعدائي انقياداً إلى ما أريد، ومع ذلك فكان كاتباً، فاضلاً، عارفاً بالخراج والجيش، والحديث، والأدب، والشعر، ظريفاً، شجاعاً، سخياً، سَمحاً، كريماً.

وقال ثابت بن سنان: جاء رجل إلى حاجب ابن الفرات فقال: عندي للوزير نصيحةٌ فاطلب لي الإذنَ عليه، فأخبره فأذن له، فقال: أخرج من عندك، فأخرجهم، فقال: محمد بن داود بن الجراح في الدار الفلانية في المكان الفلاني، والبارحة بثُّ عنده، فقال له: إن كنت صادقاً فلك عندنا ألف دينار، وإلا عاقبتك، ثمَّ قال: احتفظوا به في جانب الدار حتَّى نجمع الرجال.

(١) ما لم ينشر من أوراق الصولي ص ٤٢، وتاريخ بغداد ٣٠٨/١١، والمنظم ٨٩/١٣، وجاء بعدها في (ف)

و(م١): انتهت ترجمة ابن المعتز، والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢) من هنا إلى آخر السنة ليس في (ف) و(م١).

وبعث إلى محمد بن داود فقال له: الأمر كذا وكذا، فانتقل من المكان الذي أنت فيه، واستدعى صاحب الشرطة وقال: اجمع خمس مئة رجل، واذهب مع المنتصح إلى دار فلان ففيها ابنُ الجراح فأحضِرْه، فمضى صاحب الشرطة إلى الدَّار فلم يجد فيها أحداً، وعاد بالمنتصح فضرب بباب العامَّة مئتي سَوْط، وشهَّره على جمل، ونودي عليه: هذا جزاءُ مَنْ يسعى بين النَّاس بالباطل، ثمَّ نفاه إلى البصرة.

وقال أبو عمر محمد بن يوسف القاضي: لَمَّا جرى في أمر عبد الله بن المعتر ما جرى حُبِسْتُ ولم يكن في لحيّتي طاقةٌ بيضاء، وحُبِسَ معي القاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب، ومحمد بن داود بن الجراح، وكُنَّا في دار واحدة في ثلاثة أبيات متلاصقة، وكان بيتي في الوسط، وقد يئسنا من الحياة، فكان إذا جئنا الليلُ تحدَّثنا من وراء الأبواب، ويوصي كلُّ واحدٍ منَّا صاحبه، فلمَّا كان في بعض اللَّيالي فُتحت الأقفال، ودخل ناس بالشموع، ففتحوا الباب الذي فيه محمد بن داود [بن] الجراح، وأخرجوه من البيت، وأضجعوه للدَّبْح، فقال: يا قوم، ذَبْحاً كالشاة؟ أين المصادرات؟ أين أنتم من الأموال؟ أنا أفدي نفسي بكذا وكذا، فما التفتوا إلى قوله، وذبحوه وأخذوا رأسه، وألقوا جثته في بئر وأنا أراه من شقِّ الباب، ومضوا وعادوا بعد ساعة، وأخرجوا أبا المثنى القاضي، وقالوا له: يقول لك أمير المؤمنين: يا عدوَّ الله، بَمَ استحللت نكثَ بيعتي؟ فقال: لِعلمي أنه لا يصلح للإمامة، فقالوا: قد أمرنا أمير المؤمنين أن نَسْتَبِيكَ من هذا الكفر، فإن تبتَ وإلا قتلناك، فقال: أعود بالله من الكفر، فذبحوه، وأخذوا رأسه، وألقوا جثته في البئر، ولم يبقَ غيري، ومضوا وأنا أدعو وأبتهل، ثمَّ عادوا، فأخرجوني إلى صحن الدَّار وقالوا: أمير المؤمنين يقول لك: يا فاعل، ما الذي حملك على خَلْعِ بيعتي؟ قلت: الشَّقَاوَةُ، وقد أخطأتُ، وأنا تائبٌ إلى الله تعالى.

فحملوني إلى دار الخلافة، وابنُ الفرات الوزيرُ جالس، فأخذ يوبِّخني وأنا أنتصّل وأعتذر، فقال: قد وهب لك أمير المؤمنين دمك، واشتريتُ حرْمَكَ وأهلك منه بمئة ألف دينار، فقلت: والله ما رأيتُ بعضَها مجتمعاً قطُّ، فغمزني الوزير اسكت، وإنما أراد أن يخلِّصني، فأديتُ البعضَ، وسومحت بالبعض، وأخذتُ المرأةَ فنظرتُ فيها؛

وإذا قد شابت لحيّتي ورأسي في ليلة^(١).

وقال القاضي أبو عمر صاحب هذه الواقعة: ظهر في يد رجلٍ مالٌ جليلٌ بعد فقر طويل، فسُئِلَ عن سببه فقال: كان لي مالٌ فأنفقته حتّى لم يبقَ لي شيء، فرأيت في منامي قائلاً يقول: غناك بمصر فاخرج إليها.

قال القاضي: فقال لي الرجل: اكتب لي كتاباً إلى مصر لعلّي أنصرف، فكتبْتُ له كتاباً، وخرج به فأوصله إلى صاحبه، قال الرجل: فلم يُقدِّر الله شيئاً، ونفدت نفقتي، وهممتُ أن أسأل الناسَ في الليل، فخرجتُ وإذا بالطّوف^(٢) رجلٌ قد مرَّ بي، فأنكرني وقال: من أنت؟ قلت: رجل غريب، فلم يصدّقني، وأخذ يضربُني بالمقارع، فقلت: أنا أصدّقك، أنا رجلٌ من أهل بغداد، ورأيت في المنام كذا وكذا، وحدثته الحديث، فقال الذي على الطّوف: ما رأيتُ أحقّ منك، والله لقد رأيتُ في المنام قائلاً يقول: غناك في بغداد، في الشارع الفلانيّ في دارٍ يقال لها: دار فلان، فيها سِدْرَةٌ تحتها ثلاثون ألف دينار في قُمُقْمٍ من نحاس، وأنا لا ألتفتُ.

قال الرجل: فذكر شارعي وداري، وأطلقني وقال: أنت أحقّ؛ تمشي من بغداد إلى مصر بسبب منام؟! قال: فخرجتُ من مصر أمشي إلى بغداد، فدخلتُ داري، وحفرتُ تحت السدرة فخرج القُمُقْمُ وفيه المال، فأغواني الله تعالى، واشترت الضياع وغيرها.

أسند محمد بن داود عن عمر بن شبّة النُميري وغيره، وروى عنه القاضي عمر بن الحسن وغيره، وكانت وفاته في ربيع الآخر^(٣).



(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ١٣١.

(٢) الطّوف: هي التي يعبر عليها في الأنهار الكبار، تسوّى من القصب والعيّدان. اللسان: (طوف).

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٥٦ - ١٥٨، والمتنظم ١٣/ ٩١، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٠٢٣.